وقيل إن قتله كان على وجه آخر وإن عبد الملك أرسل إلى عمرو يوماً بعدما أمّنه أن يجيء
إليه بمعظم أمر فقالت له امرأته أنشدك الله أن تأتيه فقال دعي عنك ما بدا لك
لو كنت نائماً ما أيقظني وكان عمرو قد لبس درعاً وبضاضة وأقدام فقال الناس والله
ما آمنه عليك وإني أحذرك فلما أقام عشياً في البستان جماز الغلمان [illegible]
أن لا يمشي إليه حتى يعرض بها فقام بسيفه متوشحه وهو متكئ بالدرع فلما دخل
على عبد الملك وقد أغلق الباب في وجوه أصحابه قال له عبد الملك إني كنت حلفت
إن ملكتك أن أشدك في جامعة وهذه جامعة فضة أشدك فيها وأبر قسمي فجعل
في عنقه الجامعة ثم جذبه إلى الأرض فضرب به جانب السرير فانكسرت ثنيته
ثنيته فنظر عبد الملك إليها فقال له عمرو لا عليك يا أمير المؤمنين عظم انكسر فقال
له عمرو لا يغرنك الشيء نشدتك الله أن تخرجني إلى الناس وأنا في هذه الحالة فقال
له عبد الملك أتمكر بي وأنا أمكر منك تريد أن أخرجك إلى الناس فيمنعونك مني
ويستنقذونك من يدي ويقال إن عبد الملك قال له أمكراً وأنت في الحديد فأرسلها
مثلاً وجاء المؤذن فقال لعبد الملك الصلاة يا أمير المؤمنين فقال عبد الملك لأخيه
عبد العزيز اقتله حتى أرجع من الصلاة فقال عمرو لعبد العزيز سألتك بالرحم
يا عبد العزيز لا تكن أنت قاتلي وليكن من سواك أبعد منك رحماً منه فكف عبد العزيز حتى
رجع عبد الملك فوجده جالساً فقال له لعن الله أمّاً ولدتك ولم يكن شقيقه والله
ما أردت قتله لأمر أحلكم إلا أنه لا يجوز بهاد ونكم ثم أخذ الحربة بيده وقال أضربه
فيه فقال عمرو فعلتها يا ابن الزرقاء فقال له لو علمت أنك تبقى ويسلم لي ملكي لفديتك بدم
النواظر ولكن قلما يجتمع فحلان في ذود إلا عدا أحدهما على الآخر ثم رفع يده
بالحربة فضربه بها ضربة فلم تغن شيئاً فضرب عبد الملك بيده على ثوب عمرو فأصاب
الدرع تحتها ثيابه ومن كبر ضحك عليه بثوب فقال له لقد كنت معدّاً يا أبا أمية [illegible]
به فصرعه فقعد على صدره فذبحه فلما وأقم خبره بحضرة من شهيد أبقاه
وأقبل الباب ومن معه من رجاله ليكسروه فخرج إليه الوليد ومواليا عبد الملك
فاقتتلوا فضرب يحيى الوليد على أليته فصرعه وقد كان لما قتله عبد الملك
أرسل إلى قبيصة بن ذؤيب فقال له ما تقول في عمرو والتفت قبيصة فرأى رجل
عمرو تحت السرير فعلم أنه قد قتل وقد أرخى ثوباً على تحت السرير ليسمع ما يقول
قبيصة فقال اقتله يا أمير المؤمنين فقال له عبد الملك لله درك ما أجود رأيك
فأمر برأسه إلى أصحابه وأنثر عليهم الدنانير والدراهم فتشاغلوا

١٦٥

يهابه عن القتال وتفرق الناس فلم يطلب بثأره وذكر عن بعض جلساء أبي جعفر المنصور
قال قال المنصور يوماً ونحن عنده أتعرفون جباراً أول اسمه عين قتل جباراً أول اسمه عين
وجباراً أول اسمه عين وجباراً أول اسمه عين قلت نعم يا أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان
قتل عمرو بن سعيد وقتل عبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن الأشعث فقال أتعرفون خليفة أول اسمه عين
قتل جباراً أول اسمه عين وجباراً أول اسمه عين وجباراً أول اسمه عين فقلت نعم يا أمير
المؤمنين أنت قتلت عبد الرحمن بن محمد أبا مسلم وعبد الجبار وعمك عبد الله بن علي
سقط عليه البيت فتبسم ثم قال هل تحفظ أبياتاً التي قالتها زوجة الوليد بن عبد
الملك في عمرو بن سعيد حين قتل عبد الملك إياه غدراً قلت نعم يا أمير المؤمنين خرجت
في اليوم الذي قتل أخوها فيه حاسرة ثم تنشد

أيا عين جودي بالدموع على عمرو … عشية تبتز الخلافة عن قهر
غدرتم بعمرو يا بني خيط باطل … وكلكم يبني البيوت على غدر
وما كان عمرو عاجزاً غير أنه … أتته المنايا بغتة وهو لا يدري
كأن بني مروان إذ يقتلونه … خشاش من الطير اجتمعن على صقر
لحى الله دنيا تعقب النار أهلها … وتهتك ما بين القرابة من ستر
ألا يا لقومي للوفاء وللغدر … وللمغلقين الباب قسراً على عمرو
فرحنا وراح الشامتون عشية … كأن على أعناقهم فلق الصخر

قال فقال لي المنصور فما الأبيات التي بعث بها عمرو بن سعيد إلى عبد الملك فقلت يا أمير
المؤمنين كتب إليه عمرو هذه الأبيات

يريد ابن مروان أموراً أظنها … ستحمله مني على مركب صعب
أتنقض عهداً كان مروان شدّه …
فقد كنت قبلي وقد كنت قبله … ولولا انقيادي كان كرباً من الكرب
وكان الذي أعطى مروان هيّنة … غبيناً بها رأيي وخطباً من الخطب
فإن ينقض الأمر الذي كان بيننا … فنحن جميعاً في السهولة والرحب
وإن تعطها عبد العزيز ظلامة … فأولى بها منا ومنه بنو حرب
ولم يعط صقر بني أمية … أمية ضامه تحيل الله أظفر [illegible]

أراد بصقر بني أمية عبد الملك بن مروان تشبيهاً له بالصقر وهو البازي الذي يصاد
به لشهامته وطمعه بكل من طلبه من أعدائه وقد كان أبو جعفر المنصور فيما
زعموا إذا ذكر والده عبد الرحمن بن معاوية بن هشام الداخل بالأندلس يقولون له صقر قريش

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)